

## ديوان الشوق العائد

[للاستاذ على محمود طه]

لمؤسسة قروبي عبر الفتح طوقاه

في كتاب العمدة لابن رشيق : « قال بعض الحذاق : إنه ليس للجودة في الشعر صفة ، إنما هو يقع في النفس عند المعبر : كالفرند في السيف ، ولللاحة في الوجه » .

هذا قول كله صدق وكله حق ، فنحن مهما اجتهدنا في تعريف غيرنا بنواحي الجودة في الشعر الجيد فلن نستطيع أن تأتي بصورة صادقة تامة لما نحسه في نفوسنا من جودة ذلك الشعر .

وهذه حالي مع شعر الشاعر على محمود طه ، فإنني لأقرأ فإذا هو يوافق نفسي ، وإذا هو يقع منها موقعا قلما يكون لغيره من شعر العصر . ولست أدري مبعث ذلك على وجه التحقيق ، أهي روعة الشعراء أم تجاوب النوق أم كلاهما معا .  
وها هو ديوانه الأخير « الشوق العائد » بين عيني ، قيا لها من عوالم حافلة بالنهاويل زاخرة بالصور الحية تتدعها لطفة شعور الشاعر ، وصفاء فكره ، ورفيع ذوقه وبراعة فنه ؛ والله هذه الصفحات الرائعات من حياة ذلك القلب الذي لا يقبله قراره فهو لا يكاد ينسى أمسه بآماله وآلامه حتى يعود عيد من الشوق جديد : الله لقلوب الشعراء ! وهل كانت يوماً إلا هكذا ؟ وهل تملك إلا أن تلتفت إلى أمسها رضيها أم لم ترض ؟ . ولقد تفرقت في عيني دمة حين قرأت قوله :

فقلت : ما حياتك ؟ قلت حلم من الأشواق أوثر أن أطيئه  
ما أروعها حياة ! ولكن يارحة للنفس الشاعرة إذا هي لم تجد  
لطيف أحلامها الأفق الرحيب لتنتقل فيه خفيفة الاجنحة ،  
فإن تكاد تلك الطيوف تصفق بأجنحتها وقد همت بالتحليق حتى  
تصدعها قيود وسدود تعترض الأفق من هنا وهنا فإذا الأجنحة  
تتكسر ؛ وإذا الطيوف تحتنق من الضيق فتهاوى صريرة  
مبيضة ، وتمتليظ النفس الشاعرة الحاملة لتواجه الحقيقة ، الحقيقة  
التي ترى فتصيب ، وتصيب فتقتل . وما هي حياة الشعراء إذا  
حيل بينهم وبين أحلامهم وأطيافهم ؟ .

ونظرة في قصيدة « يوم اللتي » وهي من غميره  
الاجتماعية تعيد إلى أذهاننا ما تنبأ به الرحوم « الزهاوي »

ثم يأتي بعد ذلك الدور الرابع ، وهو دور الانتقال في شعر  
أبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والبحري وابن المعتز وقد امتاز  
هذا الدور بالتنازعات التي قامت فيه بين القديم والجديد ، وثورة  
أبي نواس على الجلود في الشعر على وصف الطلول ، والوقوف على  
الدمع ، وما إلى ذلك مما لا يتأثر به الشاعر في حاضره ،  
ولا يحيط به في بيئته ، وكان لذلك أثره فيما أخذ به هو وغيره من  
وصف مشاهد الحضارة العباسية ، في قصورها ومجالس لهوها ،  
وما إلى ذلك مما جدد فيها ، ولكن الشعراء كانوا يترددون في  
ذلك بين القديم والجديد ، ولم يمكنهم أن يتخلصوا فيه كل  
التخلص من التأثر بالقدماء .

ويأتي بعد ذلك الدور الخامس ، وهو دور النهضة ، وقد  
انتهى القرن الثالث الهجري بنبلة الجديد ، فهض شعر الطبيعة  
إلى أقصى ما وصل إليه في الأدب العربي ، وصار له في كل إقليم  
طابع يمتاز به ، وكان أرقى ما وصل إليه في بلاد الأندلس ،  
في شعر ابن خفاجة وغيره .

وقد آثرنا أن نلم بهذا التقسيم الذي يدل على مبلغ دقة المؤلف  
وتعكث من موضوعه ، لنندل به على طريقة دراسته في كتاب  
تبلغ صفحاته سبع عشرة وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ،  
فهي دراسة دقيقة جامعة لهذا الشعر في عهوده المختلفة ، وعرض  
حسن لتمازجه فيها ، وتحليل وشرح يدل على قوة إدراك ،  
وحسن فهم ، وموازنات بين الشعراء في هذا الباب تدل على  
مبلغ تفاوتهم فيه ، وتضع كل واحد منهم في درجته اللائقة به ،  
وتقد بصير بمواضع النقد ، وتوجيه حسن لمن يأخذ من الشعراء  
في هذا الباب .

ثم ماذا بعد هذا كله في ذلك الكتاب النفيس ؟ هناك  
دراسة أيضاً لشعر الطبيعة عند الغربيين ، وموازنات بينه وبين  
شعر الطبيعة في الأدب العربي ، وحسن توجيه أيضاً إلى ما وصل  
إليه شعراء الغربيين في هذا الباب ، لأنهم لم يقتصروا فيه على  
وصف مظاهر الطبيعة كما اقتصر شعراؤنا ، بل اتسع الأفق  
عندهم في نظرهم إلى الطبيعة ، واتخاذها موضوعاً فكرياً عالياً ،  
يتنهي بهم إلى أفكار وتصورات سامية ، وفلسفات روحية تدل  
على كمال قنانيهم فيها ، ولذلك تعاذج أيضاً تويده ، فجاء الكتاب  
بكل هذا جامعاً في باب ، لا يستثنى عنه أديب في مكتبته .

عبر النعال الصعيري



## ١ - زوبعة الرهور : تأليف مارو عبور

فصول عن ( دار الكشوف ) بقلم خفيف سريع الحكم  
يعتصر حكمه على المرعى من عاطفته ويستدل بتعر المرعى بتزعه  
من قصائده ويمهد لخواطره عن الشاعر .  
يدور الكتاب حول حياة المرعى أو المعزة الملائية ويعرض  
الكاتب يصف عصر المرعى بمصر الأسرار ويعرض عن مدرسة  
أبي العلاء وملته بالحاكم ويستطيل به القلم حتى يصل به القول إلى  
أن العصر ظفر منه بشاعر العقل الفاطمي .

وعند الكاتب أن للمرعى لم يضرب عن الزواج لأنه لا يريد الجناية  
على أحد ولكنه أضرب لأنه يؤثر الصفة ومحدد النسل عند الإنظار  
ولا يسمح بتعدد الزوجات ويشور للعرض للمهور ثورته للدم المهودر  
وقد أسرف الأستاذ المؤلف وزاد وأطال كي يثبت أن للمرعى  
شيخ الفاطمية الأعظم . وإليك ما انتهى إليه (في مذهب أبي العلاء  
( من طالع سيرة المعز والعزيز والحاكم الفاطميين رأى أبا العلاء  
لا يخرج في حدود تعاليمه عن مخوم آراء هؤلاء الثلاثة ، ومن أسعده  
الحظ وقرأ رسالة النساء الكبيرة في كتب الدرور يرى أن النبع  
واحد كل يريد أن يقصى المرأة وينحيا خوفاً من الفتنة )

والمؤلف جرىء كثيراً التحامل والشطط ، من ذلك حكمه بأن  
أدب العميان جيمافيه راحة عفنة لا تعجبه . وهو قد يكون على شيء ،  
ولكن في أدب العميان مثل بشار سحر لا يشاب بمضه ولكنه يمزج  
بالسخر والصدق والصرامة ؛ وفي نظرات المرعى نفسه صدق ومضاء  
غاب عن المؤلف ؛ والمرارة شيء والتعفن شيء آخر .

والكتاب جميعه نسق من الخواطر الأدبية في ثوب باحث  
وأسلوب يشوق القارىء ، بحديثه لولا الإطالة والإطناب حول  
المرعى والدعوة الفاطمية التي استولت على المؤلف وأضاعت عليه  
وقتاً كان في حاجة إليه في جوانب أخرى عن المرعى ...

## ٢ - مراهبا الناس : تأليف السيرة ودار سطاكني

رأى في الأدب النسوى لا يسر للمرأة ولا يروق ريات البنان  
المخضب ، ولكنى أعترف كما يعترف غيرى أننا قرأنا من نتاج  
الأدبيات في مصر ما طربنا به شيئاً ، وإن كنت أجد فيه إلى  
جوار أنامل المرأة أصابع الرجل تنقيه مرة وتشجبه مرة أخرى  
وقد تقومه أو توجهه . والنسب يؤلم أن أدب الأنوثة كثنار المشيم تملر  
سريعاً ثم تهبط وإلا فإن ( صوت سهر القلماوى ) وأين فحفات  
الأنوثة في ( قلم ابنة الشاطي ) وأين طرائف اللبسات من ( وداد

صادق عنبر ) ويأنها المنزل من موروث والدها . أن ؟ وأن ؟  
أظن ( البيت ) هو الذى طغى على رسالة القلم عند هؤلاء الكائن .  
ولا حرج فالطبيعة تقضى .

غير أنى اليوم أطلع مراهبا الناس للسيدة وداد سكاكين  
الكاتبة الشرقية فأعجب كيف أن الطبيعة لم تغلبها ، وحرقة  
الأمومة لم تنهه من حماسها الأدبى ، ولم تبلبل تيارها العام ؛ أعجب  
ولا يصدقنى هذا إلى أن أقول ذلك وإنما أدعو القارىء إلى أن يرد  
مراهباها ويقف على شخصيتها ويتعلم من أسلوبها ليعجب بقصصها  
الإنسانى التى تأخذ من صلاته بالمرأة درساً ومجلىاً ثم جاء تعبيراً  
سامياً في إطار يشوق وإخراج روع . وحتى لا أحرم القارىء أو  
يرمى بمعاملة الضيفة الصديقة أضع أمامه قطعة من ( شقيقة نفسى )  
تكشف عن جمال في التعبير وإبداع في التصوير ورفعة في  
الأسلوب التى محمد عليه المرأة وتغبط السيدة وداد .

( في صيداء مدينة الزهر والعطر ، الحاملة بمجدها على الشاطي )  
الأبيض الجاثم بوداعة وفطنة ليداعب بده وجزره تلك الرمال  
التقية ، فإذا وليت وجهك شطر البيوت تركت البحر وواجهه بأمواجه  
القلعة العتيقة السادرة في ذكرياتها ، ثم أقبلت بالنظر على جنات  
ألفاف ، وأفواف خلف أفواف ، وحدائق وراء بساين رقافة النسيم  
سمراء الأديم قد شاعت فيها أنفاس الفردوس ، وليكن هذا في  
الربيع حين يعبق في هوله صيداء عطور النارج والليمون .

وأخشى أن أطيل وأمضى بك في كثير من القطع الفنية التى  
صاغتها ريشة تنفى بمواطن المرأة وتجارب الأنثى وتاملاتها في  
الحياة والمجتمع وصلات الناس .

نعم قد تمر على بعض القصص فلا تفتجأ بالمادة ، وقد تمر بك  
الخطرات والنظرات وأنت تقرأ كأنها النسيم يعضى رخاء دون أن  
يلفحك أو يعصر قلبك لأن السيدة وداد رقيقة الأتاس هادئة  
اليراعة تنظر بمرآة صافية لم تلمب بها الأعاصير ولم تتأيل بها الرياح .  
إنما هي امرأة فنانة متمكنة من قياد القلم تحمل قلباً إنسانياً ونظرة  
نشف وتمن عن الرحمة واليقظة . وهكذا جاءت مراهباها من القصص  
المحلل المتأمل التى يشهد للمرأة ومحملنا على الاعتراف بأدبها .

وقصص ( هاجر العانس ) و ( الفرثان ) و ( حظها  
المكتوب ) و ( المروس ) لون من نتاج المرأة التى يضع  
الكاتبة في مصاف القصاصين البديعين .

ويكنى الأدبية أن تقبل إعجابنا بنتاجها الموفق وإلى أن تروى آخر  
يردنا إلى الإعجاب بفن الأنوثة الشرقية . طامل محمد عبور